بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قمة الكبار... لقاء معنويات

الخبر:

أصدرت الصين وأمريكا وروسيا "إعلان السلام" عقب القمة الثلاثية التي جمعت رؤساءها شي جين بينغ ودونالد ترامب وفلاديمير بوتين، الخميس، في مدينة شنتشن الصينية. وجاء في البيان المشترك، الذي نشره الكرملين ووسائل الإعلام الرسمية الصينية، أن رؤساء الدول الثلاث "أجروا تبادلاً معمقاً للآراء بشأن الوضع الدولي الراهن، وأكدوا التزامهم بالحفاظ على الاستقرار الاستراتيجي والأمن الدولي". (بي بي سي)

التعليق:

ليست كل القمم الدولية التي تجمع قادة القوى الكبرى انعكاساً لإمكانية التوصل إلى تفاهمات حقيقية؛ فبعضها يحمل من الرمزية والمعاني السياسية أكثر مما يحمل من فرص الاتفاق.

والقمة التي جمعت رئيس أمريكا برئيسي روسيا والصين يمكن قراءتها من هذا المنطلق؛ فمجرد اجتماعهم على طاولة واحدة يمثل رسالة سياسية ومعنوية بحد ذاته، لكنه لا يعني بالضرورة وجود أرضية مشتركة تسمح بتجاوز حجم الخلافات العميقة بينهم.

فالفجوة بين هذه الدول ليست خلافاً عابراً حول ملف أو قضية، وإنما هي فجوة في المصالح والرؤى ومفهوم النفوذ وموقع كل دولة في النظام العالمي.

فأمريكا ما زالت تنظر إلى نفسها باعتبارها القوة التي تقود العالم، وصاحبة الدور الأكبر في رسم قواعد النظام الدولي، بينما ترى روسيا والصين أن العالم لم يعد قابلاً لأن يُدار بإرادة أمريكية منفردة.

ترامب جاء إلى هذه القمة وهو يمثل دولة اعتادت أن تكون في موقع القيادة، في حين جاء رئيسا روسيا والصين، وهما يمثلان قوتين لا تقبلان أن تكونا مجرد طرفين في نظام دولي تحدد واشنطن اتجاهاته وحدها.

من هنا، ربما كانت القيمة المعنوية للقمة أكبر من نتائجها العملية؛ فالحضور والمصافحة والصور المشتركة قد تحمل رسائل تتجاوز ما يمكن أن تتضمنه البيانات الرسمية، لكنها لا تلغي حقيقة أن لكل دولة حساباتها ومصالحها الاستراتيجية التي يصعب التنازل عنها.

إن العالم ربما يشهد مرحلة تتراجع فيها فكرة القطب الواحد، وتتسع فيها مراكز القوة والتأثير. لكن الانتقال إلى نظام دولي جديد لن يكون سهلاً، ولن تحسمه صور تجمع ثلاثة حكام حول طاولة واحدة.

فالجلوس إلى طاولة الحوار لا يعني بالضرورة التقارب، والابتسامات أمام الكاميرات لا تعني زوال الخلافات. وربما تكون أهمية هذه القمة أنها أظهرت للعالم أن الكبار باتوا مضطرين إلى الجلوس معاً، حتى وإن كانت المسافة بين مواقفهم ومصالحهم لا تزال واسعة.

وهنا يبرز السؤال الذي لا ينبغي أن يغيب عن المسلمين: أين موقعنا من هذا العالم الذي تتصارع فيه القوى الكبرى على النفوذ ورسم مستقبل النظام الدولي؟ ولماذا نكتفي بمراقبة الآخرين وهم يصنعون موازين القوى، بينما نمتلك من الثروات والموقع الجغرافي والطاقة البشرية والحضارية ما يؤهلنا لأن نكون رقماً مؤثراً في المعادلة الدولية؟ فإلى متى نبقى شهوداً على صناعة التاريخ، بدلاً من أن نكون شركاء في صناعته؟

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

مؤنس حميد – ولاية العراق